سورة يونس

٤٤١ ـ قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا .. ﴿٤﴾﴾ قال ذلك هنا، وقال فى هود: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ لأن ما هنا خطاب للمؤمنين والكفار، بقرينة ذكرهما بعد، وما فى «هود» خطاب للكفار فقط، بقرينة قوله قبله: ﴿وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾.

٤٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ خص التفصيل بالعلماء، مع أنه تعالى فصل الآيات للجهلاء أيضًا، لأن انتفاهم «بالتفصيل» أكثر.

٤٤٣ ـ قول تعالى: ﴿.. وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ قاله هنا بالواو تبعًا لها فى قوله: ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ وقاله فى مواضع أخر، بالفاء للتعقيب على أصلها.

٤٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ.. ﴿١٦﴾﴾.

إن قلت: كيف قال النبى ذلك، مع أن الله تعالى أنكر على الكفار احتجاجهم بمشيئته فى قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾، ولهذا لا ينبغى لمن فعل معصية «أن يحتج»[٠] بقوله: لو شاء الله ما فعلتها؟

قلت: إنما قال النبى ذلك، بأمر الله تعالى له فيه، بقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ وللعاصى أن يحتج بذلك إذا أمر الله.

٤٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ.. ﴿١٨﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف نفى عن الأصنام الضر والنفع هنا، وأثبتهما لها فى قوله فى الحج: ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣].

٤٤١ ـ متشابه القرآن ١/ ٣٥٢.

[٠] كذا فى المصورة.

قلت: نفيهما عنها باعتبار الذات، وإثباتهما لها باعتبار السبب.

٤٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴿٢٣﴾﴾ الآية.

إن قلت: ما فائدة قوله ﴿بغير الحق﴾ بعد قوله «يبغون» مع أن البغى وهو الفساد من قولهم بغى «الجرح»[٠٠] أى فسد ـ لا يكون إلا بغير حق؟

قلت: قد يكون الفساد بحق، كاستيلاء المسلمين على أرض الكفار، وهدم دورهم، وإحراق زرعهم وقطع أشجارهم، كما فعل النبى ﷺ ببنى قريظة.

٤٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ..﴿٢٤﴾﴾.

إن قلت: لم شبه الحياة الدنيا بماء السماء، دون ماء الأرض؟

قلت: لأن ماء السماء ـ وهو المطر ـ لا تأثير لكسب العبد فيه، بزيادة أو نقص، أو لأنه يستوى فيه جميع الخلائق، بخلاف ماء الأرض فيهما «ولأن» تشبيه الحياة به أنسب.

٤٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ..﴿٣١﴾﴾.

إن قلت: هذا يدل على أنهم معترفون بأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، فكيف عبدوا الأصنام؟.

قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام، عبادة الله تعالى، والتقرب إليه، لكن بطرق مختلفة. ففرقة قالت: ليست لنا أهلية لعبادة الله تعالى، بلا واسطة لعظمته، فعبدناها لتقربنا إليه تعالى، كما قال حكاية عنهم ﴿.. مَا

---

[٠٠] في نسخ «الحرج» وهو تصحيف من النساخ.

٤٤٧ ـ راجع غريب القرآن ١٩٥.

نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ .. ﴿٣﴾﴾ [الزمر:٣]. وفرقة قالت: الملائكة ذوو جاه ومنزلة عند الله، فاتخذنا أصنامًا على هيئة الملائكة، ليقربونا إلى الله. وفرقة قالت: جعلنا الأصنام قبلة لنا فى عبادة الله تعالى، كما أن الكعبة قبلة فى عبادته.

وفرقة اعتقدت أن على كل صنم شيطانًا موكلاً بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته، قضى الشيطان حوائجه بأمر الله، وإلا أصابه الشيطان بنكبة أمر الله.

٤٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ..﴿٣٤﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنهم غير معترفين، بوجود الإعادة أصلاً؟

قلت: لما كانت الإعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها، وهو القدرة على إعدام الخلق، والإعادة أهون بالنسبة إلينا، لزمهم الاعتراف بها، فكأنهم مسلِّمون بوجودها، من حيث ظهور الحجة ووضوحها.

٤٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿..فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ رتب شهادته على فعلهم، على رجوعهم إليه فى القيامة مع أنه ﴿شهيد﴾ عليهم فى الدنيا أيضًا، لأن المراد بما ذكر نتيجته، وهو العذاب والجزاء، كأنه قال: ثم الله معاقب، أو مجاز على ما يفعلون.

٤٥١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا .. ﴿٥٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: لم قال ﴿بياتا﴾ ولم يقل «ليلا»، مع أنه أكثر استعمالا، وأظهر مطابقة مع النهار؟

قلت: لأن المعهود فى الاستعمال، عند ذكر الإهلاك والتهديد، ذكر البيات، وأن قرن به النهار.

٤٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴿٥٥﴾﴾ الآية.
قال هنا بلفظ «ما» ولم يكرره، وقاله بعد بلفظ «من» وكرره[١]، لأن «ما» لغير العقلاء، وهو فى الأول المال، المأخوذ من قوله تعالى: ﴿لافتدت به﴾، ولم يكرر «ما» اكتفاء بقوله قبله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ .. ﴿٥٤﴾﴾.

و«من» للعقلاء، وهم فى الثانى قوم آذوا النبى ﷺ، فنزل فيهم ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ وكرر «من» لأن المراد من فى الأرض، وهم القوم المذكورون وإنما قدم عليهم ﴿من فى السماء﴾ لعلوها، ولموافقته سائر الآيات سوى ما قدمته فى «آل عمران» «واكد»[٢] قوله بعد: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ بلفظ «ما» وكرر لأن بعض الكفار قالوا: ﴿اتخذ الله ولدا﴾ فقال تعالى: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ أى اتخاذ الولد إنما يكون لدفع أذى، أو جلب منفعة، والله مالك ما فى السموات والأرض[٣] فكان المحل محل «ما» ومحل التكرار، للتعميم والتوكيد.

فإن قلت: لم خص ﴿ما فى السموات وما فى الأرض﴾ بالذكر، مع أنه تعالى مالك أيضًا للسموات والأرض وما وراءهما؟

قلت: لأن فى السموات والأرض الأنبياء، والملائكة والعلماء والأولياء، ومن يعقل فيهم أحق بالذكر مع أن غيرهم مفهوم بالأولى.

٤٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..﴿٦٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: هذا تهديد فكيف ناسبه قوله بعد: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ..﴿٦٠﴾﴾.

---

٤٥٢ ـ راجع البرهان للكرمانى مسألة رقم ١٩٢.

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾.

(٢) فى المطبوعة «وذكر».

(٣) ساقط من إحدى النسخ.

قلت: هو مناسب لأن معناه: أن الله لذو فضل على الناس، حيث أنعم عليهم بالعقل، وإرسال الرسل، وتأخير العذاب، وفتح باب التوبة، أى كيف تفترون على الله الكذب مع تضافر نعمه عليكم؟

٤٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ .. ﴿٦١﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف جمع الضمير، مع أنه أفرد قبل فى قوله: «وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن والخطاب للنبى ﷺ؟

قلت: جمع ليدل على أن الأمة، داخلون مع النبى ﷺ فيما خوطب به قبل، أو جمع تعظيمًا للنبى ﷺ كما فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ..﴾ [المؤمنون: ٥١].

٤٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ .. ﴿٦٥﴾﴾. أى لك لست مرسلاً، فالمقول محذوف كنظيره فى «يس: ٧٦» والوقف على «قولهم» فيهما لازم، ويمتنع الوصل لأنه ﷺ منزه عن أن يخاطب بذلك.

٤٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[٢].

قال ذلك هنا، وقال فى سورة المنافقين: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ لأن المراد هنا، العزة «الخالصة بالله» وهى: عزة الإلهية، والخلق، والأمانة، والإحياء والبقاء الدائم وشبهها.

وهناك العزة المشتركة، وهى فى حق الله تعالى: القدرة، والغلبة. وفى حق رسوله ﷺ. علو كلمته وإظهار دينه. وفى حق المؤمنين: نصرهم على الأعداء.

٤٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا..﴿٧٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال موسى أنهم قالوا: أسحر هذا؟ بطريق الاستفهام،

---

٤٥٤ ـ انظر تفسير الطبرى ١١/٨٦.

مع أنهم إنما قالوه بطريق الإخبار المؤكد، فى قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾؟.

قلت: فيه إضمار تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم، إن هذا لسحر مبين؟ ثم قال لهم: أسحر هذا؟ انكارًا ما قالوه، فالاستفهام للإنكار، من قول: «موسى» لا من قولهم.

٤٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ .. ﴿٨٣﴾﴾ قاله هنا بضمير الجمع، لعوده إلى الذرية، أو القوم لتقدمهما عليه، بخلاف بقية الآيات، فإنه بضمير المفرد، لعوده إلى فرعون.

٤٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً .. ﴿٨٧﴾﴾ ثنى ضمير المأمور فيها، لعوده إلى موسى وأخيه، للتصريح بهما.

وجمعه ثانيًا، لعوده إليهما مع قومهما، لأن كلا منهم مأمور بجعل بيته قبلة «يصلى إليها» «٠» خوفًا من ظهورها لفرعون. وأفرده ثالثًا لعوده إلى موسى، لأنه الأصل المناسب تخصيصه بالبشارة لشرفها.

٤٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ الآية.

إن قلت: لم أضاف الدعوة إليهما، مع أنهما إنما صدرت من موسى عليه السلام، لآية: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة...﴾ الآية؟

قلت: أضافهما إليها لأن «هارون» كان يؤمن على دعاء موسى، والتأمين دعاء فى المعنى، أو لأن هارون دعا أيضًا مع موسى إلا أنه تعالى خص موسى بالذكر، لأنه كان أسبق بالدعوة، أو أحرص عليها.

---

(١) راجع تفسير الطبرى ١١/١٠٦,١٠٧.

٤٥٨ ـ انظر: البرهان للكرمانى مسألة رقم ٢٠١.

«٠» كذا فى النسخة المحمودية والمطبوعة.

٤٦١ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ .. ﴿٩٤﴾﴾.

إن قلت: «إن» للشك، والشك فى القرآن منتف عنه ﷺ قطعًا، فكيف قال الله ذلك له؟

قلت: لم يقل له، بل لمن كان شاكًا فى القرآن، وفى نبوة محمد ﷺ، ولا ينافيه قوله: ﴿مما أنزلنا إليك﴾ لوروده فى قوله: ﴿.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ..﴾ [التوبة: ٦٤].

وقيل: الخطاب للنبى ﷺ والمراد غيره، كما فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ..﴾ [الأحزاب: ١]. أو المراد إلزام الحجة على الشاكين الكافرين، كما يقول لعيسى عليه السلام: ﴿.. أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ..﴾ [المائدة: ١١٦]؟ وهو عالم بانتفاء هذا القول منه، لإلزام الحجة على النصارى.

٤٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا..﴿٩٩﴾﴾ الآية. فائدة ذكر ﴿جميعًا﴾ بعد ﴿كلهم﴾ مع أن كلا منهما يفيد الإحاطة والشمول، الدلالة على وجود الإيمان منهم، بصفة الاجتماع الذى لا يدل عليه"[٠] ﴿كلهم﴾ كقولك جاء القوم جميعًا أى مجتمعين ونظيره قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾.

٤٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ قال ذلك هنا، موافقة لقوله قبل: ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾. وقال فى النمل: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ موافقة لقوله قبل: ﴿فهم مسلمون﴾ «٨١».

٤٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ .. ﴿١٠٧﴾﴾.

---

٤٦١ ـ راجع الطبرى ١١/١١٦.

«٠» كذا فى إحدى النسخ وهو الصحيح.

إن قلت: لم ذكر المس فى الشر، والإرادة فى الخير؟

قلت: لاستعمال كل من المس والإرادة، فى كل من الضر والخير، وأنه لا مزيد لما يصيب به منهما، ولا راد لما يريده فيهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس فى أحدهما، والإرادة فى الآخر، ليدل بما ذكر على ما لم يذكر، مع أنه قد ذكر المس فيهما فى سورة «الأنعام: ١٧».

« تمت سورة يونس »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

obeikandl.com